

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس : ٢ - تفسير الآيات ١٢-٢٢ ، بطش الله تعالى ومكانة القرآن.

٠٧-١٢-١٩٨٤

**الله عز وجل إذا أراد أن يأخذ العصاة أخذهم أخذاً شديداً :**

وصلنا في الدرس الماضي في سورة البروج إلى قوله تعالى:

**﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾**

قد يبدو لقارئ القرآن أن كل سورة في كتاب الله فيها مجموعة مقاطع، وقد لا يبدو لمن يقرأ القرآن قراءة سريعة أن هناك علاقة بين هذه المقاطع، ولكن لو تعمقنا في فهم هذه السورة لوجدنا أن الله سبحانه وتعالى يقول:

**﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ \* إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ \* إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾**  
أي أن الله سبحانه وتعالى يؤكد أن الله إذا أراد أن يأخذ العصاة أخذهم أخذاً شديداً، سيدنا موسى سأل الله عز وجل فقال: يا رب أي عبادك أحبُّ إليك حتى أحبه بحبك؟

قال: يا موسى أحبُّ عبادي إلي تقي القلب، نقي اليدين، لا يمشي إلى أحدٍ بسوء، أحببني وأحب من أحببني وحببني إلى خلقي، فقال: يا رب إنك تعلم أنني أحبك وأحب من يحبك فكيف أحببك إلى خلقك؟! قال: ذكرهم بالآتي، الآيات الكونية كما كان في الدرس الماضي والسماء ذات البروج، ونعمائي، وهذه النعم الكبيرة التي من الله بها علينا، وبلائي.

**في هذه الآية مناسبة للحديث عن بطش الله الشديد :**

في هذه الآية مناسبة للحديث عن بطش الله الشديد، ربنا عز وجل قال:

**﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾**

[سورة النحل: ١١٢]

وهذه الآية مطبقة في كل زمانٍ وفي كلِّ مكان، وتحت سمع الناس وبصرهم، آية ثانية ربنا سبحانه وتعالى يقول:

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾

[سورة الأنعام: ٦٥]

هذا من بطش الله الشديد، وأن تذوق القرية التي كانت آمنة مطمئنة والتي كان رزقها يأتيها رغداً من كل مكان أن تذوق الخوف والجوع هذا من بطش الله الشديد، وربنا سبحانه وتعالى في آيةٍ ثالثة يقول:

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾

[سورة هود: ١٠٢]

ليست أخبار الزلازل والفيضانات والمجاعات والبراكين والصواعق عنا ببعيد، وهذا من أخذ الله الشديد، وهذا من بطش الله عزَّ وجلَّ، الله سبحانه وتعالى قد ينزل بطشه بجماعاتٍ وقد ينزل بطشه بأفرادٍ، ألم تسمع بإنسانٍ فقد ثروته كلها وأصبح يتكفف الناس، هذه قصص كثيرة.

**على المؤمن أن يعطف على من ألمت بهم المصائب وأن يرحمهم ويقدم لهم المساعدة:**

قال لي رجل: إن بيتي مساحته مع الحديقة ألف وخمسمئة متر، وهناك موظفان خاصان للحديقة، وعندي ثلاث سيارات واحدة للسفر وواحدة للمدينة وواحدة للمعمل، وقال لي: ما دخل بيتي الطعام إلا بكمياتٍ كبيرة، رأيته في بعض الدكاكين في أحد أحياء دمشق ينام على طاولة التفصيل، ويأكل طعاماً من العلبه التي فتح منها الطعام ولا صحن في دكانه، ثم بكى وقال: لقد طردني أهلي خارج المنزل، وكيف كان من قبل؟

أي عندما الإنسان يرى أشخاصاً ألمت بهم المصائب، بالإضافة إلى أنه ينبغي له أن يعطف عليهم وأن يرحمهم وأن يقدم لهم المساعدة، وينبغي له أن يستنبط من هذه الظواهر المؤلمة حكمةً، أن تقول: والله لا يستأهل، هذا كلام فيه شك في حكمة الله عزَّ وجلَّ، وأن تقول - الله لا يقيمه - كذلك فيها شماتة، لا تقل هذا الكلام ولا ذاك، ولكن قل كما قال سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام:

﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

[سورة المائدة: ١١٨]

فربنا عزَّ وجلَّ قال:

﴿ إِنْ بَطَّشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٍ ﴾

إنَّ حرف مشبه بالفعل معناه التوكيد، أي إذا قلت: الله غفورٌ رحيم، وإذا قلت: إن الله غفورٌ رحيم، التركيب الثاني فيه توكيد، إذا قلت: الشمس ساطعةٌ، وإذا قلت: إن الشمس ساطعةٌ، فالتركيب الثاني فيه توكيد، فربنا سبحانه وتعالى يقول:

## ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

معنى البطش :

ما هو البطش؟ الأخذ بالعنف، وربنا حلیم وكریم يمد للناس مداً لكنه إذا أخذهم:

## ﴿ فَأَخَذْنَاَهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾

[سورة القمر: ٤٢]

الذي لا يخاف من الله فهو أحق، ألا نرى بأعيننا ما يحل ببعض الناس من أمراضٍ وبيلةٍ ومن أمراضٍ عضالةٍ؟ ألا نرى بما يحل ببعض الناس من فقرٍ مدقعٍ؟ ألا نرى ما يحل بالناس من مصائبٍ قد لا تحتمل..

## ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

فالبطش شدة الأخذ والأخذ بالعنف وبالقوة، يا موسى ذكرهم بالآثي ونعمائي وبلائي، والبطش من بلاء الله عزَّ وجلَّ:

## ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

هذا البطش نسب إلى الله عزَّ وجلَّ، لم ينسب إلى اسم التسيير نسب إلى اسم الربوبية، الله رب العالمين، ومعنى رب أي مربٍ، والمربي لا بدَّ من أن يكون عالماً ورحيماً في وقتٍ واحد، فالذي يربي شيئاً يحتاج في تربيته إلى علم، ويحتاج في تربيته إلى عطف، فالله سبحانه وتعالى عليماً بنا ورحيماً بنا ومع ذلك بطشه شديد.

نسب البطش إلى الله تعالى وإلى اسم الربوبية بالذات معنى هذا أن البطش لا بدَّ منه :

أحياناً الطبيب يكون طبيباً لامعاً جداً وماهراً جداً ومع ذلك يقول: لا بدَّ من بتر الرجل وإلا فهذا المرض سينتفقم، نقول: إن الطبيب قطعها، قد قطعها مجرم وقد قطعها حادث لا نقول إن الحادث هذا كان رحيماً، أما إذا قلنا إن الطبيب قطعها، فحينما تنسب قطعها إلى الطبيب والطبيب يتمتع بالعلم والرحمة، إذ لا بدَّ من أن يكون قطعها فيه حكمةً بالغة.. إن بطش ربك؛ نسب البطش إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى اسم الربوبية بالذات هذا يعني أن هذا البطش لا بدَّ منه، وهو عين الحكمة، وهو في النهاية رحمة:

## ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

البطش وحده الأخذ بالعنف، فكيف إذا وصف البطش بأنه شديد، إذا قلنا: إن الله بطشاً، كلمة بطش وحدها تعني الأخذ بالعنف والقوة، فكيف إذا وصفنا هذا البطش بأنه شديد؟ هذا شيء يجذب النظر، إن بطش ربك لشديد، هذه اللام يعربها النحاة لأمّ المزلحقة، أي أصلها لام التوكيد، أساسها لبطش ربك شديد، دخلت عليها إن فزحلقتنا اللام إلى خبر إن، أساسها لام التوكيد.

إذاً الله سبحانه وتعالى في قوله (إِنَّ) يؤكد، والبطش هو الأخذ الشديد، وهذا البطش وصف بأنه شديد، لكن هذا البطش الشديد مضافٌ إلى رب العالمين، ورب العالمين عليهما وحكيم ورحيم، إذاً هذا البطش لا بد منه:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

يذكرني هذا التفسير بقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[ سورة العنكبوت: ٦٩ ]

أربع توكيدات في هذه الآية، والذين جاهدوا فينا، لنهدينهم سبلنا، اللام لام التوكيد، ونهدينهم النون نون التوكيد الثقيلة، (سبلنا وإن) حرف توكيد:

﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[ سورة العنكبوت: ٦٩ ]

لا بد للإنسان من حين إلى آخر أن يتعرف إلى الله عن طريق الكون :

اللام لام المرحقة أي لام التوكيد، إذاً عندما يتجه الإنسان إلى الله عز وجل ويتمنى أن يتقرب منه، فليطمئن أن الله سبحانه وتعالى لا بد من أن يهديه إلى السبيل الصحيح:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

أي الإنسان من حين إلى آخر لا بد من أن يتعرف إلى الله عن طريق الكون، عن طريق الكون يعظمه..

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[ سورة فاطر: ٢٨ ]

وفي الدرس الماضي كان معظمه على:

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾

التعريف إلى الله من خلال الكون يورث عظمةً لله في النفس، تعظيماً لله في النفس:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾

[ سورة فاطر: ٢٨ ]

معرفة الله من خلال النعم تورث المحبة، يا داود.. ذكّر عبادي بإنعامي عليهم، فإن النفوس جُبلت على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها.

إذا نظرت إلى نعمة البصر ونعمة السمع ونعمة الإدراك السليم، والعقل والحركة، تقضي حاجتك من دون أن تكلف أحداً بذلك، ونعمة الزوجة والأولاد والبيت، أي المأوى إذا لك مأوى فهي نعمة، وأنتك تملك قوت يومك، ونعمة السمعة الطيبة، وأنتك تعرف الله عزَّ وجلَّ، فسينا عمر كان إذا أصابته مصيبةٌ، قال: الحمد لله ثلاثاً، على هذه المصيبة، الحمد لله إذ لم تكن في ديني، فنعمة الدين هي النعمة الكبرى والنعمة العظمى، ولذلك فسّر المفسرون قوله تعالى:

﴿ وَيُنِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ ﴾

[ سورة الفتح: ٢ ]

أي تمام النعمة الهدى، إذا كان الإنسان في بحبوحة، وله منزل متسع، وله زوجة وأولاد، وعمل يدرُّ عليه دخلاً جيداً، ولم يكن مهتدياً، فهذه ليست نعمة، قال الله تعالى:

﴿ كَمْ تَرَكَوْا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ \* وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِنِينَ ﴾

[ سورة الدخان: ٢٥-٢٧ ]

أما النعمة إذا أتممتها بالهدى، إذا كنت مهتدياً، فالزوجة نعمة، إذا كنت مهتدياً فالمال نعمة والأولاد نعمة، أما إن لم يكن الإنسان مهتدياً فقد يدفع ابنه إلى معصية، وقد يدفع ابنه إلى الفجور، فيأتي يوم القيامة هذا الابن ويقول: يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي لأنه كان سببي، فهل يعدُّ الولد نعمةً من دون هدى؟! لا، هذه الزوجة التي يفتخر زوجها بجمالها، ويسمح لها بالخروج بأبهى زينة هل تسمى هذه الزوجة نعمة؟! لا، لأنها يوم القيامة تقوده إلى جهنم، هذا المال الذي جمعه من حرام، يُحشر الأغنياء أربع فرقٍ يوم القيامة، فريقٌ جمع المال من حرام، وأنفقه في حرام، فيقال: خذوه إلى النار، حسابه يسير، بمعنى سريع، وفريقٌ جمع المال من حرام، وأنفقه في حلال فيقال: خذوه إلى النار، وفريقٌ جمع المال من حلال وأنفقه في حرام فيقال: خذوه إلى النار، وفريقٌ جمع المال من حلال وأنفقه في حلال، فهذا الذي يحاسب، هذا يقال قفوه فاسألوه، هل ترك فرض صلاة؟ هل قصر في حق جيرانه؟ هل قطع رحمه؟ هل قصر في حق أولاده؟ هل قال من حوله: يا رب قد أغنيته بين أظهرنا فقصر في حقنا؟ هل هل؟؟ النبي الكريم رأى أنه يوجد عنده قائمة أسئلة طويلة جداً، انتظر، انتظر قال: تركته وما زال يسأل ويسأل.. هذا الذي جمع المال من حلال وأنفقه في حلال.

الإِنْسَانُ يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ إِذَا فَكَّرَ بِالْمَنْعِ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ :

الإِنْسَانُ يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّهُ إِذَا فَكَّرَ بِالْمَنْعِ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

يا داود؛ ذكّر عبادي بإنعامي عليهم، فإنّ النفوس جُبلت على حبّ من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها. وإذا فكر في البطش، في بطش الله عزّ وجلّ، إذا فكر في النقم، إذا فكر في المصائب، والبلايا، والرزايا، والمحن، والنكبات، والأمراض، والفقر، والذلّ، ففي هذا يخاف من الله عزّ جلّ.

### ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

هناك أشخاصٌ فقدوا أموالهم، فإذا الله عزّ وجلّ وقّف عمل الكلّيتين فجأةً، وهذا مرض شائع جداً، هبوط مفاجئ في عمل الكلّيتين، فما الحلّ؟ الحل هو الغسيل في الأسبوع مرتين وكلّ مرة خمس ساعات أو ستاً، وأن تقف بالدور، قال الطبيب لي: هذه اليد تتحمل عشر مرات، فالشريان الموجود فيها يتحمل عشر مرات، وفي اليد الثانية عشر مرّات كذلك فصارت عشرين، وبالرجل عشرة أي ثلاثين، والرابعة عشر فصارت أربعين، ففي حدود فتح الشريان وأخذ الدم كله منه وتصفيته بجهاز حديث ثم إرجاع الدم إلى جسم الإنسان تستغرق من الوقت ست ساعات، وكلّ مرة تكلف مبلغاً لا بأس به، تكلف بالشهر ستة آلاف أو خمسة آلاف أو أربعة آلاف، أو تقدّم وثيقة أنك معفى من دفع ثمن التصفية.. وفي الأسبوع مرتان ويبقى بالمئة عشرون من البولة في الدم وتسبب ضيقاً بالنفس وبالمشاعر ونرفزة سريعة جداً وتسبب ضيقاً وانحطاطاً عامين في الجسم..

### ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

**حجم معرفتك بالله هو نفسه حجم خوفك منه :**

من يتحمل آلام الأورام الخبيثة؟ فالأورام الخبيثة لها آلام في البطن لا تحتمل:

### ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

هناك رجل كان يعتدي على الأعراض في بعض القرى، وكلما بلغه أن هناك إنساناً مسافراً يتسور البيت ويعتدي على زوجته، فالله عزّ وجلّ أصابه بمرضٍ خبيث في عضوه.. أي الله عزّ وجلّ له موعظة كبيرة جداً:

### ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

لا بد أن تخاف من الله خوفاً شديداً، يجب أن تخاف من الله بقدر علمك به، بالضبط إن حجم معرفتك بالله هو نفسه حجم خوفك منه، لذلك أشد الخلق خوفاً من الله هو سيدنا رسول الله.

وسيدنا عمر قال: والله لو أنزل الله في كتابه أنه معذب رجلاً واحداً لظننته أنا، من شدة الخوف. قال: يا ليت أم عمر لم تلد عمر، ماذا فعل سيدنا عمر؟ قال: والله لو تعثّرت بغلة في العراق - وهو في المدينة - لحاسبني الله عنها، لم لم تصلح لها الطريق يا عمر؟ إذا قال: يا ليت أم عمر لم تلد عمر، يقول هذا الكلام حقيقةً، أي هو خائف جداً:

### ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

أنا والله الذي لا إله إلا هو شيءٌ واحدٌ يثير عجبى، أن إنساناً تجاوز الأربعين وهو يعصي الله عزَّ وجلَّ، فما الذي ينتظره!!؟

(( بادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا: هل تَنْظُرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًّا، أو غِنِيًّا مُطْغِيًّا، أو مَرَضًا مُفْسِدًا، أو هَرَمًا مُفْنِدًا، أو موتاً مُجْهِزًا، والدجال؟ والدجال شَرٌّ غَائِبٌ يُنْتَظَرُ، والساعة؟ والساعة أَدْهَى وأمرٌ ))

[الترمذي والنسائي عن أبي هريرة]

إذا دعيتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك :

والذي لا يخاف من الله أحق، والذي لا يخاف من الله غبي وشقي، اعلم أبا ذر أن الله أقدر عليك منك عليه.

إذا دعيتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك، نقطة دم كراس الدبوس إذا تجمدت في أحد شرايين الدماغ، فمعنى ذلك شلل، أو جنون، أو فقد ذاكرة، أو فقد بصر، أو سمع، نقطة دم، بالبخامية وهي غدة وزنها نصف غرام بالضبط، هذه الغدة مسيطرة على جميع الغدد في الإنسان سماها العلماء ملكة الغدد، فلو تعطلت، بعض الغدد من بعض وظائفها إحداث توازن في السوائل في الجسم، فلو اختلفت لكان على الإنسان أن يشرب في اليوم الواحد عشر تنكات من الماء وعليه أن يخرجها بولاً، إذاً عليه أن يبقى إلى جانب الصنبور والمرحاض طوال اليوم، لو اختلفت بعض الغدد في الجسم، فماذا تفعل الكوليرا هذا الجرثوم؟!؟

### ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

أحياناً عن طريق زلازل، أو صواعق، أو فيضانات، أو براكين، أو عن طريق لمس الإنسان للإنسان، أو عن جراثيم والكوليرا أخطر ما فيها أن الإنسان عندما يشرب ماء تنفذ السوائل من أمعائه إلى شرايينه عن طريق الامتصاص، جرثوم الكوليرا يعكس الآية، جميع ما في الجسم من ماء ينفذ إلى الأمعاء عبر غشاء الأمعاء، فالإنسان يفقد ماء جسمه في ساعتين أو ثلاث يخرج أربعين مرةً أو خمسين ماء ثم يموت من الجفاف، جرثوم لا يرى:

### ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

ومرض الطاعون أوقف جيشاً بكامله، عندما احتل نابليون عكا، الذي حال بينه وبين احتلالها الطاعون:

### ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

إذا ارتكب الإنسان الفاحشة فالأمراض الجنسية وحدها أكبر عقاب من الله عزَّ وجلَّ :

قال تعالى:

## ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾

[ سورة المدثر: ٣١ ]

الله عزَّ وجلَّ له جنود لا ترى بالعين، جراثيم وفيروسات والآن له جنود موجودون في أمريكا، مرض اسمه - الهربس - هذا مرض جنسي ناتج عن الانحلال الأخلاقي، مرض حياتي لا شفاء منه يصيب الإنسان بنوبات من الحمى والإنتان والقشعريرة، وهذه النوبات تأتي في الأسبوع مرتين أو ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً، أو في اليوم مرتين إذ ليس لها قاعدة، هذا المرض ليس له دواء، وهذا المرض انتقل إلى قطر عربي بسبب أنهم اشتروا دماً من أمريكا:

## ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

فإذا الإنسان ارتكب الفاحشة، فالأمراض الجنسية وحدها أكبر عقاب من الله عزَّ وجلَّ، قال الله تعالى:

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾

[ سورة النساء: ٢٢ ]

ذهب رجل إلى بلد وارتكب الفاحشة وله زوجة وأولاد، فرجع معه مرض ويخجل أن يتكلم مع زوجته، فمعنى ذلك أنه خانها، يغادر ويرجع ويتطبب خلال ست سنوات، وقال لرجل آخر: لقد احترق قلبي على هذه الغلطة..

## ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

آيات قرآنية تبين عذاب الله سبحانه للضالين من عباده :

عندما تكون أخلاق الإنسان نظيفة وبدنه نظيفاً فإنه يكون سعيداً، فهذه الآية يجب أن تترك فينا أثراً بليغاً:

## ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

على مستوى الأفراد، وعلى مستوى الشعوب، الشعوب الضالة:

## ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

قال الله تعالى:

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾

[ سورة النحل: ١١٢ ]



﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ  
بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾

[سورة الأنعام: ٦٥]

كل شيء بيد الله سبحانه :

من آيات الله عز وجل:

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرْىَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾

[سورة هود: ١٠٢]

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

أعرف شخصاً في أوج شبابه، له بيت، وله سيارة، وعمل يدر عليه أرباحاً طائلة، لكنه لا يعرف الله أبداً، ذهب إلى بلد عربي، ونزل في مسبح فجاءته جرثومة إلى عصبه السمعي فأتلفته، قيل لي: إنه دخل البيت، وارتمى على الأرض، وصار يبكي كالأطفال، يقول: أصبحت أطرشاً.

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

سمعت بيده، بصرك بيده، يقول: أخي حدث انزلاق في الشبكية، فبيد من الشبكية؟ عمل عملية جراحية معقدة جداً أعطوها أربع تبشيمات في الشبكية ألقوها، لكنه مهدد في كل لحظة أن تسقط الشبكية فيفقد بصره:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

أمثلة واقعية تبين بطش الله تعالى :

الله عز وجل قادر أن يسلب للإنسان بصره، وأن يسلب له سمعه، ويسلبه صحته، وقوته، وإن كان سلبه عقله فأقرب الناس إليه يترجون أولي الأمر أن يكون له مكان في مشفى الأمراض العقلية، يكون بيته وهو اشتراه وزوجته تترجى وتتغنى وتذهب تريد مكاناً لزوجها وتقول: أهلكنا، فلم نتم الليل البارحة، فإذا أعطى الله الإنسان عقلاً متزناً فهو بنعمة، وإذا سلب منه عقله، لم يعد له مكان في البيت أبداً، إذ فقد مكانه في البيت، وفقد مكانه في العمل.

رجل تزوج امرأة جيدة ومستقيمة، ومتدينة ومستورة، فلم يعجبه هذا الشكل، أمرها أن تختلط مع أصدقائه حتى أخرجها من دينها، آلام في عينه لا تطاق من طبيب إلى طبيب، آخر شيء استقر عند طبيب لا بد من قلعها، قلعت عينه ووضعت في كفه:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

شخص آخر حصل على شهادات عليا، ووصل إلى أعمال راقية جداً، وعاش في بحبوحة كبيرة فقد بصره، ففي أول أسبوعين أو ثلاثة، يقول له المساعد: إنَّ المعاملة هذه مضمونة يقول له: موافق ثم يوقع، فبعد أسبوعين أو ثلاثة أو شهرين أعفي من منصبه، زاره صديق لي وهو صديقه أيضاً، قال له: والله يا فلان أتمنى أن اجلس على الرصيف وأتكف الناس ولا أملك شيئاً من حطام الدنيا وأن يرد الله لي بصري:

### ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

رجل يقطن في بعض أحياء دمشق وعنده رغبة كل يوم مساءً في الصيف طبعاً على طريق الصالحية أن يتمشى ذهاباً وإياباً، ولا يفعل شيئاً ولكنه يمتّع نظره بالجمال، إن الله جميلٌ يحب الجمال، نصحه جازُّ له وهو صديقٌ لي، نصحه نصائح كثيرة، قال له: أنت رجل ولك بنات وشباب، قال له: لا أعمل شيئاً، أنا أنظر فقط، هذا الإنسان أصيب بمرض اسمه ارتخاء الجفون، وإلى الآن موجود، إذا كان يريد أن يراك يمسك جفنه ويقول: أهلاً وسهلاً:

### ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

كلما همَّ الإنسان بمخالفة الله عزَّ وجلَّ عليه أن يذكر الآية التالية :

في الدنيا يوجد أشياء لا تحتل، ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به، البصر غالٍ، والسمع غالٍ، والصحة غالية، والحركة غالية جداً، وتوجد أمراض تكسُّ المفاصل يصبح الإنسان قطعةً واحدة، لا حركة ولا سكونة ملقى على ظهره، أي على سرير وإذا الإنسان ظل ملقى على ظهره أياماً طويلة، يتعفن اللحم، أي يتحلل:

### ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

وكلما همَّ الإنسان بمخالفة الله عزَّ وجلَّ يذكر هذه الآية:

### ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

شيء مخيف، مدينة تقع على سفح بركان في إيطاليا اسمه بركان فيزوف، ثار هذا البركان، وقذف هذا البركان رماداً بركانياً حرارته خمسمئة درجة غطى المدينة بأكملها بارتفاع ثمانية أمتار، عرفوا خلال ساعات أن المدينة جمدت وطبعاً مضى عليها عشرات السنين ومئات السنين، وقبل عشرين أو ثلاثين سنة وهم يقفون في هذا المكان وجدوا حفرة، وبعد ذلك وجدوا آثار مدينة ضخمة، وهذه الفراغات حقنوها بجبصين سائل فرأوا أمماً تعانق ابنتها في الفراغ، الأم فنيّت لكنها تاركة فراغاً فقط، هناك مقالات في مجلات علمية حول هذا الموضوع شيء مذهل، مناظر الخوف والهلع، كان هذا أثناء تناول طعام الغداء، وصف العلماء ما كان على الموائد، كان يوجد جوز وعنب على المائدة، وجاء هذا الرماد

فالإنسان يموت إما احتراقاً أو اختناقاً، حتى أن بعض النساء في القصور كانت تبحث عن حلّ لها لتأخذه وتغادر، المساجين في السجون، إنها مدينة رومانية عريقة بالحضارة جمدت ألف عامٍ والآن هناك مقالات مطولة وصور مذهلة عن آثار هذه المدينة، وأيضاً هناك مدينة أغادير في المغرب في ثلاث ثوانٍ بالضبط أصبحت قاعاً صافصفاً، لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ويوجد فيها فندق يبلغ ارتفاعه ثلاثين طابقاً – Holiday inn - هذا الفندق هبط كلّه وبقي منه متر واحد فقط، وبقيت اللوحة الكبيرة التي كتب عليها عنوان الفندق، إلى الآن إن ذهبت إلى هذه المدينة تجد على الأرض لوحة كبيرة مكتوباً عليها اسم الفندق هذه اللوحة كانت مثبتة على الطابق رقم ثلاثين.

﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾

[سورة هود: ١٠٢]

الذي يبطش البطش الشديد هو نفسه الخالق الذي يبدئ ويعيد :

قال تعالى:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

يوجد على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي، وتوجد مصائب طبيعية، كالزلازل والبراكين، وتوجد مصائب إنسانية، فكثيراً ما حدثت غزوات تمت من شرقي آسيا، هولانكو وتيمورلنك، سألوا مرة تيمورلنك: من أنت؟ قال: أنا غضبة الرب.

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ\*إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾

إنه الذي يبطش البطش الشديد هو نفسه الخالق الذي يبدئ ويعيد، أي يبدأ الخلق ثم يعيده هذا الطفل يكبر، يكون جنيناً، أصبح رضيعاً، ثم طفلاً، ثم صبياً، ثم شاباً فرجلاً فكهاً فشيخاً، ثم توفي، ابنه يكبر وهكذا.. فكل واحد منا له دورة، جاء ابنه مكانه:

﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾

دورة الكائنات :

الحيوانات كذلك:

﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴾

والنبات كذلك، فمن عنده بستان، هذه الشجرة حطب يابس جاء الربيع فأزهرت وأورقت، ثم أثمرت وأينعت وقطفت، ثم أوراقها سقطت وعادت حطباً، ثم أزهرت، فأورقت، فأثمرت ثم أينعت، فقطفت، فسقطت أوراقها:

### ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴾

هذا الورق المتساقط يدخل في التراب ويتحلل ويصبح غذاءً للتراب، كل شيء تنتجه النباتات يتحلل ويصبح في خدمة نمو النباتات:

### ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴾

قال لي شخص عنده بستان: أعلى شيء السماد الطبيعي، يصبح للأشجار المثمرة نكهة لذيذة جداً، سبحان الله هذا السماد أي روث البهائم، أكلت وهضمت وأخرجت الفضلات والفضلات ساهمت في بناء التربة مرةً ثانية:

### ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴾

دورة، الإنسان له دورة إذ يولد ووزنه ثلاثة كيلو غرام، والآن وزنه اثنان وسبعون، أربعة وسبعون، أو ستة وسبعون أو ثمانية وسبعون، اطرح ثلاثة من ثلاثة وثمانين فيصبح وزنك ثمانين كيلو من أين جاءت هذه الزيادة؟ من الغذاء، من الطعام والشراب، يموت ويوضع في التراب فتفتح القبر فتجد عظاماً، فأين بقية الجسم؟ غدت تراباً:

### ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴾

## التكفير غير المغفرة :

هذا الإنسان، والحيوان كذلك، والنبات أيضاً، الآن في أحدث النظريات المجرات تنفجر وتصبح رماداً ثم بعد ملايين السنين تتجمع وتصبح مجراتٍ جديدة.

### ﴿ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴾

فمن الذي يبدي ويعيد؟ من الخالق؟ هذا بطش الخالق، بطش رب العالمين.

### ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ\*إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴾

أي خفنا كثيراً والله لكن:

### ﴿ وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ ﴾

انظر إلى القرآن المتوازن:

### ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ\*إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ\* وَهُوَ الْعَفُورُ الْوَدُودُ ﴾

الغفور بمعنى الشافي، هناك فهم ساذج لهذه الآية، أن فلاناً ارتكب ذنباً فقال: اسمح لي. قال له: اذهب لا شيء عليك. ليس هكذا، هذا معنى ساذج للمغفرة، المغفرة شفاء، أي هذا الذي ارتكب الذنب نفسه مريضة، أقبل على الله بعد التوبة فجاء النور الإلهي فشفى نفسه من هذا المرض، أي إذا غفر لإنسان شفيت نفسه بنور الله، الصلاة طهور، أي بها يطهر الإنسان من ذنوبه، وهذه هي المغفرة، التكفير غير

المغفرة، التكفير حينما يفنى الإنسان، وتفنى هذه الذاكرة، حينما يبعث مرةً ثانية لا يذكر من أيام جاهليته شيئاً، أما في الدنيا فلو تاب الإنسان واستقام وأقبل وطهرت نفسه فبذاكرته أعماله في الجاهلية وهذه أحياناً تنعّص عليه سعادته، بعد التوبة والاستقامة والعمل الصالح والإقبال والطهر والسمو، فبذاكرته ما فعله في الجاهلية، الآن غفر له لكنه إذا مات وفني جسمه فهذه الذاكرة تحللت، إذا بعثه الله مرةً ثانية، لا يذكر من أيام جاهليته شيئاً، هذا هو التكفير، ولذلك فالأنبياء لا يفنون، والشهداء لا يفنون، لأنهم فعلوا عملاً يغطي على كل شيء إن كانوا شهداء، وإن كانوا أنبياء أطهاراً مطهرين منذ الولادة وحتى الوفاة.

## الله عز وجل غفور ودود :

قال تعالى:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ \* إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ \* وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾

أحياناً الإنسان يعفو عنك، هذا غفور، يقول لك: سامحناك يا أخي، اسكت لا تتكلم ولا كلمة، وليس كذلك فالله عزَّ وجلَّ غفور ودود، ودود أي محب، أنت استغفرت، هو يشفيك ويمحك شيئاً من مودته، من أسماء الله الودود، من أسماء الله المُقيت، الهواء والماء والخبز مقيت، لكن الودود جعل لك أزهاراً، شاهدت مجلداً مؤلفاً من ثمانية عشر جزءاً، كل جزء عرضه ثمانية سنتيمترات، كل ورقة فيها رسم لزهرة غير التي تليها، أنواع متنوعة، ماذا نسمي هذه الورد والرياحين والألوان والأشكال والروائح الشذية تحت اسم ماذا؟ تحت اسم الودود، الألوان تحت اسم الودود، جمال الطفل تحت اسم الودود.

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾

[ سورة الكهف: ٤٦ ]

تنوع الطعام تحت اسم الودود، الفواكه تحت اسم الودود، فصل الربيع تحت اسم الودود:

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾

أي أن الله عزَّ وجلَّ يتودد إلينا بهذه النعمة، بهذه الأزهار وبهذه الطيور والأسماك والرياحين والمناظر والهواء العليل يتودد إلينا.

## معنى الودود :

قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾

فالودود لها معنى عام، أي هذه النعم التي تزيد عن حاجتنا، فالإنسان يأكل خبزاً وقمحاً وما شاكل ذلك، هذه هي حاجته الأساسية لكن أيضاً جعل له موالح، وجعل له شايًا وقهوة، فهذا من خلق الله عزَّ وجلَّ، جعل له فواكه متنوعة، ومسرات متنوعة، فهذه كلها تحت اسم الودود.

### ﴿ وَهُوَ الْعَفْوَورُ الْوَدُوْدُ ﴾

على المستوى الجماعي، أما على المستوى الفردي فكل إنسان عندما يستقيم على أمر الله ويتوب إلى الله توبة نصوحاً فالله عز وجل يعامله معاملة تفتنه، ما هذه المعاملة؟ لطف وتيسير أمور وشعور بالراحة والسرور.

### ﴿ وَهُوَ الْعَفْوَورُ الْوَدُوْدُ\* ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيْدُ ﴾

العرش الملك، أي بتعبير آخر الكون، صاحب الكون، الإنسان يكون صاحب مزرعة فيمشي بالعرض، يقول لك: هذه مزرعة لي، أنت تقول: الملك لله مزرعة فلان..

### ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيْدُ ﴾

أمر الله هو النافذ ولا تستطيع جهة في الأرض أن تحول بينه وبين ما يريد :

كل هذا الكون بمجراته، أحدث رقم مليون مليون مجرة، كشفوا منها ألف مليون، بالمجرة يوجد عشرة آلاف مليون، ويوجد ثلاثة عشر مليوناً، ومئة وثلاثون ألف مليون في كل مجرة، وبعض النجوم يزيد حجمه عن الشمس ثلاثين مليون مرة، ثلاثين مليون مرة زيادة عن حجم شمسنا، وشمسنا زيادة عن أرضنا مليون وثلاثمائة مرة، والأرض معروفة أربعة أضعافها بحر:

### ﴿ وَهُوَ الْعَفْوَورُ الْوَدُوْدُ\* ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيْدُ ﴾

المجيد أي العظيم، السامي، العالي، العلي:

### ﴿ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيْدُ\* فَعَالٌ لِمَا يَرِيْدُ ﴾

أي أمره هو النافذ، لا تستطيع جهة في الأرض أن تحول بينه وبين ما يريد:

### ﴿ فَعَالٌ لِمَا يَرِيْدُ ﴾

أي إذا كنت مع من هو:

### ﴿ فَعَالٌ لِمَا يَرِيْدُ ﴾

أقوى بكثير من أن تكون مع الذي لا يستطيع أن يفعل ما يريد، سيدنا داود قال:

﴿ فِكِيْدُوْنِي جَمِيْعاً ثُمَّ لَا تَنْظُرُوْنَ \* إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ

رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ ﴾

[ سورة هود: ٥٥-٥٦ ]

﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٍ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ﴾

[ سورة فاطر: ٢ ]

## المغزى من قصة سيدنا يوسف أن الله فعال لما يريد :

بيد الله عزَّ وجل، فالله:

﴿ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

أي أمره هو النافذ:

﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾

[ سورة الأنعام: ١٨ ]

أنت تريد وأنا أريد، عبدي أنت تريد وأنا أريد، فإذا سلمت لي فيما أريد، كفيتهك ما تريد وإن لم تسلم لي فيما أريد، أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد. الله سبحانه وتعالى:

﴿ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

ربنا يعلمنا، سيدنا يوسف ماذا أراد به أخوته؟ تعلمون القصة الطويلة مغزاها في كلمة واحدة، قال تعالى:

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

[ سورة يوسف: ٢١ ]

إخوته جميعاً أرادوا به كيداً، وضعوه في غيابة الجب، الله:

﴿ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

فجعله عزيز مصر.

## قصص بليغة جداً تؤكد أن كل شيءٍ بأمر الله فأمره هو النافذ :

سيدنا موسى:

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ \* أَنْ أَدْفِينِي فِي التَّابُوتِ فَادْفِنِي فِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾

[ سورة طه: ٣٨-٣٩ ]

سيدنا موسى رُبي في قصر فرعون، كان يخاف من طفلٍ من بني إسرائيل يقضي على ملكه، فأمر بقتلهم جميعاً.. الذي سوف يقضي على ملكه رباه في قصره:

﴿ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾

﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾

[ سورة القصص: ٨ ]

هذه القصص بليغة جداً.. كل شيء بأمر الله، أمره هو النافذ.. فالواحد لا يظن أن باجتهاده أو بذكائه يفعل ما يريد.. لا يفعل الله إلا ما يريد، وأنت ضمن إرادته.

**ربنا عز وجل كنى بكلمة (فرعون) عن قوم فرعون :**

قال تعالى:

﴿ وَهُوَ الْعَفُورُ الْوُدُودُ \* ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ \* فَعَالٍ لِمَا يُرِيدُ ﴾

الدليل:

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴾

من هم؟ قال:

﴿ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾

من فرعون و ثمود؟ ففرعون اسم فرعون، و ثمود اسم قوم، فكيف جمع الله اسم رجل مع اسم قوم؟ قال: هذه إشارة إلى أن قوم فرعون ذابوا في فرعون، ذابت شخصيتهم كلها في فرعون، فإذا قلنا فرعون، نعني بهذه الكلمة قوم فرعون فقد قال الله تعالى:

﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَعَوْا فِي الْبِلَادِ ﴾

[سورة الفجر: ٩-١١]

﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾

[سورة الزخرف: ٥٤]

أي إن هؤلاء ذابوا جميعاً، ذابت شخصيتهم ولم يبق في هذا المجتمع إلا فرعون، فربنا عز وجل كنى به عن قوم فرعون.

**الله عز وجل**

محيطاً بدقائق أعمال الكفار فأعمالهم كلها تحت إشرافه ومراقبته :

قال تعالى:

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ \* فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴾

أي أهلكهم الله عز وجل وهذا تأكيد قوله تعالى:

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴾



والمقصود بالذين كفروا كفّار قريش، أي على الرغم من كلّ هذا، قومك يا محمد يكذبونك، ولم يقل يكذبونك:

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴾

هذه في الظرفية، أي هم في حالة من التكذيب، هم غارقون في كل أنواع التكذيب، أي كما قال أحدهم: لم أر أشدّ صمماً من الذي يريد ألا يسمع، قال الله تعالى:

﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾

[سورة الزخرف: ٢٢]

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ \* وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾

معنى محيط هنا، أي محيطٌ بدقائق أعمالهم، أعمالهم كلها تحت إشرافه ومراقبته.

سمو القرآن الكريم وفضل قراءته :

أحياناً الإنسان يعمل عملاً ويظنُّ أنّ فلاناً لا يراه، فلان يصوره، يريه شريطاً، فيقول أعودُ بالله، كلّ الذي فعلته مسجّلٌ عليك، ربنا عزّ وجلّ قال:

﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ \* وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾

أي كلّ أعمالهم وكلّ حركاتهم وكلّ سكناتهم وجميع تصرفاتهم وتجاوزاتهم وطغيانهم، كلّ في علم الله عزّ وجلّ وفي قبضته:

﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴾

المعنى الثاني: والله قادرٌ عليهم في كلّ لحظة من لحظاتهم أن يهلكهم:

﴿ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ \* بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾

أي لا حدود لعلوه، ولا حدود لسموه، وشرفه، وعظمته:

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾

أي لو أنكم جعلتم هذا الكتاب كتابكم الأوحى، فالقرآن غنى لا فقر بعده، من تعلم القرآن متعه الله بعقله حتى يموت، من تعلم هذا الكتاب فهو أمانٌ له من الخرف، لا يخرف إنسانٌ قرأ القرآن وتعلمه، قارئ القرآن لا يحزن أبداً، لا يوجد داعٍ أن يحزن فكله قوانين واضحة، وهذه القوانين بمنزلة مقدمات، ونتائج حتمية.

لا يحزن قارئ القرآن لأنه يرى أموره كلها بيد الله عزّ وجلّ :

قال تعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾

[ سورة النحل: ٩٧ ]

الحياة:

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

[ سورة طه: ١٢٤ ]

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴾

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[ سورة العنكبوت: ٦٩ ]

﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

[ سورة البقرة: ٣٨ ]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾

[ سورة فصلت: ٣٠ ]

لا يحزن قارئ القرآن، يرى أموره كلها بيد الله عز وجل، وهو الرحيم، الحنون، اللطيف، السميع، البصير، القدير، الغني، المحب.

من نعمة الله عز وجل أنه حفظ لنا كتابنا :

قال تعالى:

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ \*فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾

بعضهم قرأ: في لوح محفوظ، أي بل هو قرآن محفوظ في لوح، إذا قلنا محفوظ في لوح، أي من الزيادة والنقصان، وإذا قلنا:

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ \*فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾

أي اللوح محفوظ من الزيادة والنقصان، وإذا كان محفوظ للقرآن من التبديل والتغيير، إما أن تكون محفوظ صفة للقرآن:

﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ \*فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾

أي محفوظ من التبديل والتغيير، وإذا قلنا في لوح محفوظ فمن الزيادة والنقصان.

أحياناً يصورون بعض الخرائط على أفلام صغيرة، يضعونها في أماكن أمينة حتى لو احترقت مثلاً يقول: عندنا صور مايكرو فيلم لكل هذه المصورات.. فربنا عزَّ وجلَّ، هذا الكتاب، أي القرآن الكريم في لوح محفوظ، لا يزيد ولا ينقص، ولا يتبدل، ولا يحرف، ولا يغير، ولا أي شيء يطرأ عليه. قال الله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

[ سورة الحجر: ٩ ]

ومن نعمة الله عزَّ وجلَّ أنه حفظ لنا كتابنا، وهذا الكتاب حفظ لنا لغتنا، فلا يوجد بالعالم أمة أطفالها الآن يقرؤون في الصف العاشر ما كتبه شعراء قبل ألف وخمسمئة عام بفضل كتاب الله، أما اللغة الإنكليزية، ما كتبه شكسبير في عام ألف وستمئة تقريباً الآن يترجم ترجمة إلى اللغة الإنكليزية، هذه اللغة تبدلت، وتغيّرت، وتطورت، لكن الله عزَّ وجلَّ حفظ القرآن فحفظ لنا لغتنا، مئة مليون إنسان يتكلمون لغة واحدة هذا شيء من فضل الله عزَّ وجلَّ.